المضامين التربية للنداءات الإيمانية

✍ . د. عبد الرحمن محمد الفكي (★)

المقدمة :

إن القرآن الكريم هو الذكر الحكيم وحبل الله المتين وهو آخر خبر السماء إلى الأرض،من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هد ي إلى صراط مستقيم .

وقد حوى كل ما يحتاجه البشر في معاشهم ومعادهم ، وقد ورد القرآن بتحديد مهمة البشر في هذه الدنيا وبصورة واضحة وحاسمة ، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (1) .

إذاً العبادة هي المهمة الأساسية التي من أجلها خلق البشر ، عبادة الله وحده لا شريك له ، ولكن كيف تكون هذه العبادة ؟ هنا اقتضت الحكمة الإلهية أن يبعث الله عز وجل الرسل مبشرين ومنذرين ومعلمين وأنزل معهم الكتاب ليكون هادياً ومبيناً لهذه العبادة ، وهنا تظهر مهمة الرسل ودورهم وهو تبليغ أمر الله إلى الناس وتربية الناس وفق منهج الله سبحانه وتعالى ، ويمكن القول إن القرآن الكريم نزل كله للتربية والتوجيه ولبناء الأمة الراشدة التي تقوم بمهمة الخلافة

(★) أستاذ العلوم التربوية بالجامعة

(1) سورة الذاريات : الآية 56 .

الراشدة في الأرض فهو يربى النفس البشرية من جميع جوانبها وينفذ إليها من جميع منافذها مهما كانت مستوياتها النفسية والروحية والاجتماعية والحضارية وأن كل مستوى من البشر يجد فيه حاجته ويجد انعكاس نفسه فيه كما ينظر في المرآة ويتفاعل معه بقدر ما يفتح قلبه وبصيرته إليه، وهو – أي القرآن الكريم – ينظر للحياة الإنسانية على أنها المجال الأنسب لعبادة الله تعالى وفق ما شرع ويعتبرها دار عمل واختبار ، من نجح فيها بإتباع المنهج القرآني حظي برضاء الله تعالى ونال ثوابه وجنته في الآخرة ، ولا تستقيم هذه الحياة الدنيا مع الإنسان لتحقيق سعادة الدارين إلا إذا ربي الإنسان تربية قرآنية إسلامية صحيحة [1] .

مما تقدم تظهر أهمية البحث عن المعاني والمفاهيم التربوية في تضاعيف الآيات القرآنية وبأسلوب تربوي يسهل فهمه وترجمته إلى واقع عملي اقتداء بالرسول ﷺ ، حيث كان قرآناً يمشى على الأرض ، دون الدخول في قضايا لغوية أو مسائل فقيهة أو غير ذلك مما يبعد الإنسان المسلم عن روح القرآن واستنباط المعاني التربوية التي هي مقصود الوحي وإنزال القرآن ، وبناءً على ذلك جاءت فكرة هذا البحث وهى البحث عن المضامين والإشارات التربوية في القرآن الكريم ، ولما كانت الآيات التي تحمل المضامين والإشارات التربوية عديدة في القرآن الكريم رأى الباحث أن يركز على بعض الآيات ذات الدلالة التربوية المباشرة وجعل حداً لذلك الآيات التي ورد فيها الخطاب القرآني منادياً فيها المخاطبين بصفة الإيمان وهى الآيات التي تبدأ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(1) أنور الباز: التفسير التربوي للقرآن الكريم ، المجلد الأول ، دار النشر للجامعات – مصر ط 1 ، 2007م

ءَامَنُواْ ﴾ وبما أن عدد هذه الآيات في القرآن الكريم يقارب التسعين آية رأى الباحث أن يقتصر هذا البحث على بعض الآيات الواردة في سورة البقرة فقط .

وتقوم طريقة البحث على تقسيمه إلى مباحث يضم كل مبحث الآيات المتقاربة في مضمونها التربوي ويبدأ بعرض الآية ثم تفسيرها ومن ثم بيان المضمون التربوي الذي تحمله الآية .

مشكـــلة البحث:

أورد ابن كثير عند تفسيره للآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود فقال أعهد إلى. فقال: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فارعها سمعك فإنه خير يؤمر به أو شر ينهى عنه) [1] . فوقر في نفسي أن أقوم بحصر بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ الذين آمنوا في سورة البقرة ثم البحث عن وجوه الخير الذي يأمر به أو الشر الذي ينهى عنه في هذه الآيات. ولا شك أن كل أمر أو نهى في القرآن الكريم لا يخلو من مضمون تربوي .

وبناءً على ذلك يمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

- ما المضامين التربوية التي تضمنتها بعض الآيات المبدوءة بنداء الإيمان في سورة البقرة؟ .

وللإجابة عن هذا السؤال تطرح الأسئلة التالية :

(1)أبو الفداء الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، المجلد الأول، دار الفكر بيروت، ط 1988م ص 120 .

أسئـــلة البـــحث :

1/ ما المضمون التربوي للنداء الإيماني المتضمن للنهي عن مخاطبة؟. الرسول ﷺ بما لا يناسب قدره العظيم.

2/ ما المضمون التربوي للنداء الإيماني المتضمن للأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة لمواجهة التكاليف الربانية .

3/ ما المضمون التربوي للنداء الإيماني المتضمن للأمر بأكل الطيبات والشكر عليها؟ .

4/ ما المضمون التربوي للنداء الإيماني المتضمن للأمر بالصوم ؟.

5/ ما المضمون التربوي للنداء الإيماني المتضمن للأمر بإقامة العدالة في المجتمع المسلم ؟.

6/ ما المضمون التربوي للنداء الإيماني المتضمن للأمر بتحقيق السلم في المجتمع المسلم؟.

أهميـــة البـــحث:

تنبع أهمية هذا البحث من التالي:

1/أنه يبحث في آيات القرآن الكريم الذي يمثل المنهج الحياتي المتكامل عند المسلمين .

2/ يعمل على كشف المضامين والمعاني التربوية وتوضيح ها في هذه النداءات وتقديمها بصورة يسهل تطبيقها .

أهـــداف البـــحث: يهدف البحث إلى القالي:

1- حصر بعض الآيات التي بدأت بنداء الإيمان في سورة البقرة .

2- استخراج القيم والمضامين التربوية التي احتوتها هذه الآيات .

3- تقديم هذه المضامين بصورة يسهل فهمها وتطبيقها.

منهـــج البـــحث: يتبع الباحث في بحثه هذا المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي.

مصطلـــحات البـــحث:

التـربية : تشير التربية بمعناها الاصطلاحي إلى عدة مفاهيم منها:

عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي [1].

المضـــمون: المحتوى ، ومنه مضمون الكتاب أي ما في بطنه ، ومضمون الكلام

فحواه وما يفهم منه وجمعه مضامين [2] .

حـــدود البـــحث:-

يقتصر هذا البحث على دراسة بعض الآيات المبدوءة بنداء الإيمان في سورة البقرة معتمداً على تفاسير القرآن الكريم المختلفة بالإضافة إلى الأحاديث النبوية ذات العلاقة بالبحث .

خطـــة البـــحث :يتكون هذا البحث من ثلاثة مباحث مبدوءة بمقدمة ومنتهية بنتائج البحث وتوصياته.

(1) زكي محمد إسماعيل : نحو علم الاجتماع الإسلامي ، دار المطبوعات الجديدة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض ط 2 ، 1988م ، ص 145

(2) المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، (بدون) مجمع اللغة العربية ، ص (565) .

هيكل البـــحث

المبحث الأول: أساسـيات البـحث

المبحث الثاني: آيات التزكية الروحية ومضامينها التربوية.

الآية الأولى: النهى عن مخاطبة الرسول ﷺ بما لا يتناسب وقدره العظيم

.

الآية الثانية: الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة لمواجهة التكاليف الربانية .

الآية الثالثة: الأمر بأكل الطيبات والشكر عليها .

الآية الرابعة: الأمر بالصوم لتحقيق التقوى في قلب المسلم .

المبحث الثالث آيات المعاملات الاجتماعية ومضامينها التربوية .

الآية الأولى:. الأمر بإقامة العدالة في المجتمع المسلم .

الآية الثانية: الأمر بتحقيق السلم في المجتمع المسلم .

النتائج والتوصيات

المبحث الثاني

آيــات التزكيــة الروحيــة ومضامينها التربــوية

الآية الأولى : النهي عن مخاطبة الرسول ﷺ بما لا يتناسب وقدره العظيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1] .

سبب النزول:

قال ابن عباس في رواية عطاء : ذلك أن العرب كانوا يتكلمون بها فلما سمعهم اليهود يقولونها للنبي ﷺ أعجبهم ذلك وكان (راعنا) في كلام اليهود سباً قبيحاً فقالوا : إنا كنا نسب محمداً سراً فالآن أعلنوا السب لمحمد فإنه من كلامه فكانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون: يا محمد راعنا ويضحكون ففطن بها رجلٌ من الأنصار هو سعد بن معاذ وكان عارفاً بلغة يهود ، وقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه فقالوا:ألستم تقولونها فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ووجه الله سبحانه وتعالى المؤمنين إلى اختيار ما هو أنسب في مخاطبة النبي ﷺ [1].

تفسير الآية:

ويقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم ، وذلك أن اليهود عليهم لعنة الله يقصدون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص ، فإذا أردوا أن يقولوا أسمع لنا يقولون راعنا ويورون بالرعونة وهى الحمق [2] .

وقال ابن جرير إن الله نهى المؤمنين أن يقولوا لنبيه ﷺ(راعنا) لأنها كلمة

(1) سورة البقرة الآية (104) .

(1) وهبة الزحيلى:التفسير المنير في العقيدة والشريعة ، الجزء الأول،دار الفكر المعاصر لبنان 1991م ص 255.

(2) أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم المجلد الأول دار الفكر بيروت 1988م ، ص120.

كرهها الله تعالى أن يقولوها لنبيه ﷺ [1].

ويقول الصابوني:(راعنا) من المراعاة وه ي الأنظار والإمهال وأصلها من الرعاية وه ي النظر في مصالح الإنسان وقد حرفها اليهود فجعلوها كلمة مسبة مشتقة من الرعونة وه ي الحمق ولذلك نه ي عنها المؤمنون وأبدلوا عنها (انظرنا) من النظر والانتظار تقول:نظرت الرجل إذا انتظرته وارتقبته أي انتظرنا وتأن بنا وهذا نداء من الله جل شأنه للمؤمنين ألا يقولوا (راعنا) بل يقولون (انظرنا) أي انتظرنا وارتقبنا ، كما أمرهم بالسمع والطاعة ولا يكونوا كاليهود الذين قالوا سمعنا وعصينا فأعد الله لهم عذاباً أليماً لسبهم للرسول ﷺ [1].

ويقول سيد قطب رحمه الله: هذا النداء الإيماني يعبر عن الصفة التي تميز المؤمنين عن غيرهم وتربطهم بربهم ودينهم ونبيهم والتي تستجيش في نفوسهم الاستجابة والتلبية . وقد كان اليهود يخشون أن يشتموا النبي ﷺ مواجهة فيحتالون على سبه ﷺ عن هذا الطريق الملتوي الذي لا يسلكه إلا صغار السفهاء ومن ثم جاء النهى للمؤمنين عن اللفظ الذي يتخذه اليهود ذريعة (راعنا) وأمروا أن يستبدلوه بمرادفه في المعنى (انظرنا) الذي لا يملك السفهاء تحريفه وإمالته كي يفوتوا على اليهود غرضهم الصغير السفيه واستخدام هذه الوسيلة من اليهود يشي بمدى غيظهم وحقدهم كما يشي بسوء الأدب وانحطاط السلوك والنهى

(1) محمد بن جرير الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، المجلد الأول دار الفكر بيروت 1988م،ص 38.

(1) محمد على الصابوني : صفوة التفاسير – الجزء الأول دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت طبعة 2001م، ص 77 .

الوارد بهذه المناسبة يوحي برعاية الله لنبيه ﷺ وللجماعة المسلمة ودفاعه عن أوليائه بإزاء كل كيد وكل قصد شرير من أعدائه الماكرين[2] .

وتبين هذه الحادثة أن اليهود لا يتركون فرصة يسيئون إلينا بها إلا اغتنموها مهما كانت هذه الفرصة صغيرة أو خسيسة وأن أمثالهم كثيرون وعلينا أن نكون يقظين بحيث لا نعطي عدواً فرصة . وأول درس يستفاد من هذه الحادثة:أن يحذر المسلم من خداع الألفاظ التي يطلقها الكافرون ومن تابعهم عليها .

ولعل غياب هذه الحقيقة (المتمثلة في أن اليهود هم اليهود في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم)عن أذهان المسلمين كان من أعظم أسباب كوارثهم فقد تابعوا أعداء الإسلام في شعاراتهم وألبستهم وعاداتهم وأفكارهم وتقويمهم للأشياء وإذا بآلاف الألوية الكافرة ترتفع في بلاد المسلمين(أطباء بلا حدود، الصليب الأحمر المدارس والجامعات الأجنبية،البعثات) ويلتف حولها أبناء المسلمين في حين أن اللواء الحقيقي للمسلم هو لواء الله ورسوله ﷺ (لا قومية ولا عرقية، ولا ديمقراطية) والذي لم يعد يحمله إلا القليل، ولو أن المسلم عقل الانحراف النفسي والعقلي للكافرين عامة لأدرك خطر المتابعة للكافرين عامة ولعرف أن هؤلاء الكافرين جميعاً أعداؤه وأنهم لا يريدون به خيراً [1].

لطائف الإشارات في الآية:

(2) سيد قطب: في ظلال القرآن طبعة 35، 2005م ، دار الشروق لبنان– المجلد الأول،ص 101،100

(1) سعيد حوى: الأساس في التفسير، المجلد الأول، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولي بيروت1985م،ص206.

لقد حوت هذه الآية بعض الإشارات اللطيفة منها :

1- من الرحمة والحكمة الإتيان بالبديل عند النهي عن أمر ما حتى يحسن التقليد والإتباع فأبدلهم الله بدل (راعنا) (انظرنا) وهى مساوية لها في الحقيقة والمجاز من غير أن يتذرع بها الكفار لأذى النبي ﷺ وهذا من أبدع البلاغة فإن (نظر) في الحقيقة بمعنى حرس وصار مجازاً في تدبير المصالح [1].

2- بدأ بالنهي لأنه من باب الترك فهو أسهل ثم أتى بالأمر بعده الذي هو أشق لحصول الاستئناس قبل النهي [2] .

المضامين التربوية للآية:

تضمنت هذه الآية العديد من المضامين التربوية التي إذا أخذنا بها في مجال التربية والتعليم ، كان لها الأثر الكبير في توجيه الناشئة وتربيتهم تربية إسلامية تعظم في نفوسهم قدر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهذا ما نحن له في أمس الحاجة في هذا الزمان الذي أصبح فيه الباطل مستحكماً والهوى متبعاً والشح مطاعاً وإعجاب المرء برأيه مذهباً ، وإذا كان الأمر كذلك تحتم علينا الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ نقتبس منهما ما ينير لنا الطريق وتكون لنا به النجاة في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . ومن هذه المضامين ما يأتي :

نداء المخاطب بأحب الأسماء والصفات إليه فصفة الإيمان من أحب

(1) محمد الطاهر عاشور: التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس (بدون) ص651.
(2) محمد الألوسى البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الجزء الأول، دار الفكر، بيروت، طبعة 1983م، ص 349 .

الصفات إلى المؤمنين،وهى الصفة التي تميزهم عن غيرهم وتربطهم بربهم وبنبيهم وتستجيش في نفوسهم الاستجابة والتلبية ، وهذا يدل على أن النداء بالاسم أو الصفة المحببة للمنادى يشرح صدر المنادى ويجعله يتجاوب مع المنادى بكل حواسه وعقله .

كما أن صفة الإيمان تقتضى الامتثال والطاعة الكاملة كما أن نداء الإيمان يشيع جو الإلفة والمحبة بين المؤمنين . فهلا استعملنا هذا الأسلوب التربوي في مدارسنا؟ ومع تلاميذنا؟ فلنحرص على إشاعة هذا الأسلوب في مجتمعنا التربوي ثم نرى ما النتيجة التي سوف نحصل عليها.

ومن الملاحظ أننا نادراً ما نستعمل أسلوب النداء المحبب في أوساطنا التربوية بل قد ننادي أحياناً بعكس ذلك .

الأدب مع رسول الله ﷺ وعدم مخاطبته بما لا يتناسب وقدره

فينبغي أن يغرس هذا الأدب في نفوس الناشئة منذ الصغر، والتأدب مع رسول الله ﷺ في زماننا هذا يكون بتعظيم سنته والإقتداء به ، وعلينا الحذر من الألفاظ الموهمة للمساواة في خطاب المؤمنين للنبي ﷺ فكيف بالألفاظ المنافية للآداب ، فلا بد من خطاب النبي ﷺ بخطاب النبوة أو الرسالة ، كما لابد من الصلاة عليه عند ورود اسمه فقد أخبرنا بأن من صلى عليه مرة صلى الله عليه عشراً ويضاعف الثواب بعدد الصلاة عليه ﷺ

ينبغي التأدب مع العلماء والمربين لأنهم إنما يقتبسون ويتأسون بالأنبياء ، ولا شك أن من يعامل أستاذه ومرشده معاملة المساواة في القول

والعمل، يقل احترامه له حتى تقل الاستفادة منه لا من حيث كونه (معلماً) بل من حيث كونه (مربياً) ولو شعر بأن معلمه فوقه في العلم والخلق والاستقامة لما ساوى نفسه به في المعاملة ولابد أن نبتعد بالأمر عن خطأين في مجال تربيتنا :

1- المبالغة في الاحترام حتى يصبح المربي في نظرنا منزهاً عن الخطأ .

2- الإهمال وعدم معرفة قدر العالم – كأن يقاطع في أثناء كلامه أو يشوش عليه أثناء الحديث- وكثيراً ما شاهدنا مجلساً قدم فيه سؤال للمرب ي أو العالم فانبرى للجواب من دونه أحدهم من هنا وآخر من هناك .

والأدب السوي لا يخرج العلماء والمربين عن بشريتهم بل هم بشر يخطئون وقد يجانبهم الصواب في بعض الآراء والمواقف ولكن هذا لا يدفعنا إلى التنكر لما عندهم من خير ولن يعش و بصرنا عن الجوانب المضيئة فيهم وتقديرها والتأسي بها مع احترامهم ولو خالفناهم في بعض وجهات النظر، وهذه هي الروح التي كانت عند سلفنا الصالح بين المربين وتلاميذهم شعارهم أن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية [1] .

التأدب عند قراءة القرآن وسماعه وعند سائر مجالس العلم، فهذا الأمر القرآني في قوله تعالى: (وَاسْمَعُواْ) ليس خاصاً بمعاصري الرسول ﷺ فحسب ، فهذا كتاب الله الذي كان يتلوه عليهم ، يقرأ علينا فكيف يقابله المسلمون اليوم ؟ إنك تسمع اللغو في مجالس القرآن ، حتى إذا ما صادفت مجلساً فيه سماع

(1) حنان لحام : من هدي سورة البقرة ، دار النشر للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى 1989، ص224.

وإنصات ظهر لك أن سماعهم طرب وليس تدبراً فهم يهتزون ويصوتون كما يفعلون عند سماع الغناء ، والمستمعون له هل يجيبون أمره ؟

حر ي بكل مسلم أن يجب إجابة صادقة على هذا السؤال ليعلم مدى توقيره وتعظيمه لهذا القرآن الذي وصفه منزله بأنه (عظيم) ونحن في مجالس التعليم والتربية كيف نقرأ القرآن في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا فهل كنا من الذين يتلونه حق تلاوته عاملين بأمره منتهين عن نهيه ؟ علينا أن نعمر بيوتنا ومساجدنا ومدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا بحلقات تلاوة القرآن الكريم وأن نعيشه في حياتنا وأن نعيش دائماً في أجوائه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

على المؤمنين الابتعاد عن الألفاظ الموهمة، فيجدر بالمؤمن ألا يستعمل الكلمات التي تحمل معاني مزدوجة وذلك حرصاً على الوضوح مع من يتعامل معه ، ودفعاً لإثارة سوء فهم قد يشحن النفوس ويقطع الروابط الأخوية ، فإذا كان الله سبحانه وتعالى ينه ي عن الوقوع في إيذاء المؤمن بدون قصد وبشكل غير مباشر ، فكيف بمن يؤذي أخاه مباشرة وعن قصد [1] .

إن إشاعة روح المحبة والوئام بين أبناء المجتمع المسلم من صميم ما دعا إليه الإسلام وحذر من كل ما يؤدى إلى إزكاء نار الكراهية والحقد بين أبناء المجتمع يقول الله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] .

ولذلك فإن من أدب الإسلام البساطة والوضوح والإعراب في الخطاب وهذا ما يجب علينا فعله في كل مؤسسات مجتمعنا وبالذات في مؤسساتنا

(1) جنان لحام: من هدي سورة البقرة ، ص 225 .
(2) سورة الحجرات الآية (10) .

التعليمية .

النهي عن التشبه بالكفار، حيث ينهى الإسلام أبناءه عن التشبهه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم وعاداتهم وأعيادهم وعباداتهم ، لأن التقليد يدل على الإعجاب والحب ، والمرء مع من أحب ، وقد قال النبي ﷺ :((من تشبه بقوم فهو منهم)).[3]

وهذا التشبه اليوم أصبح من مصائب المسلمين الكبرى ومما عمت به البلوى وهو حالة تدل على انهزام داخلي نفسي يلجأ إليه الإنسان حينما يفقد القدوة والأسوة الحسنة.

ولكن هل نحن نفتقد من يتأسى بهم ؟ كلا ولكنها حبائل الاستعمار الجديد التي تنسج ليلَ ونهارَ لإزاحة المسلمين عن مثلهم وقيمهم ، بفصلهم عن ماضيهم المجيد وقدوتهم الحسنة ، إن مسؤولية المربين جد خطيرة وكبيرة فعليهم أن يحيوا في نفوس الناشئة سيرة السلف الصالح وألا يملوا في جعلها حاضرة في أذهان الناشئة في كل لحظة وفى كل حصة ودرس وفى كل موقف .

كما علينا أن نأخذ من الكفار أحسن ما عندهم من العلم النافع وأن نعمل على مجاراتهم فى الاختراعات والاكتشافات الحديثة وفى آخر ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة مما يساعد على تقوية المسلمين ويحقق لهم العزة والكرامة بين شعوب الأرض[1]وهذا ما دعا إليه الإسلام حينما قال: ﴿ وَأَعِدُّواْ

(3) أبو داود : السنة ، المجلد4 ، دار الحديث 1393هـ- 1973م ، ص314 .
(1) محمد جميل زينو : كيف نفهم القرآن (بدون تاريخ) ص121 .

لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾ [1].

الآية الثانية : الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة لمواجهة التكاليف الربانية

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [2].

التفسير:

إن دور الأمة الإسلامية في القيادة والريادة والاستخلاف يفرض عليها تكاليف جساماً لا قبل لها بها إلا بالاستعانة بالصبر والصلاة على تكاليف هذا الدور العظيم وهنا أفتتح بالنداء لأن فيه إشعاراً بخبر مهم وعظيم فإن شأن الأخبار العظيمة التي تهول المخاطب أن يقدم قبلها ما يهيئ النفس لقبولها لتستأنس بها قبل أن تفاجئها وفى افتتاح هذا الخطاب بالاستعانة بالصبر إيذاناً بأنه سيعقب بالندب إلى عمل عظيم وبلوى شديدة وذلك تهيئة للجهاد .

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية وفى الحث على الصبر أن رسول الله (ﷺ) قال لخباب حين شكا له ما يلاقى من أذى(قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)[3].

(1) سورة الأنفال الآية (60) .
(2) سورة البقرة الآية 153.
(3) البخاري : صحيح البخاري ، ج9 ، ص26 .

ولقد صبروا فتحققت العاقبة التي وعد بها ونحن قد وعدنا(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار)[1] .

فلابد أن تتحقق العاقبة بشرط أن نكشف الطريق الصحيح للوصول إليها ونؤدي ما علينا ونصبر حتى يأتي أمر الله .

والصبر هو تحمل المكارة والشدائد في سبيل الحق بدون ضجر ولا تزمر ، لذا وصف في القرآن بأنه جميل ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ [2].

لأن نتائجه جميلة ، والصبر يأتي نتيجة للفهم ومعرفة مراحل الطريق ، فإن من درس سيرة الأنبياء وما تعرضوا له من الأذى وكيف صبروا ثم جاءهم النصر ووصلوا إلى هدفهم ، يستطيع أن يتأسى بهم ويصبر على الأذى حتى ينال مراده والصبر أيضاً سبب للنجاح وتحصيل المزيد من العلم والفهم ، يقول صاحب المنار عن الصبر(ذكر في القرآن سبعين مرة ولم تذكر فضيلة بهذا المقدار وهذا يدل على عظيم أمره وقد جعل التواصي به في سورة العصر مقروناً بالتواصي بالحق إذ لابد منه للداعي إلى الحق ، والصبر فضيلة هي أم الفضائل فما من فضيلة إلا وهى محتاجة إليه والصبر يكسب بالتعلم – بالتصبر- ومن يزعم أنه عاجز عن تحصيل هذه الملكة فهو خائن لنفسه جاهل بما أودع الله فيه من الاستعداد فهو محتقر لنفسه محتقر لنعمة الله عليه [3]

والله لا يطلب من الإنسان ما لا يقدر عليه ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا

(1)البيهقي : السنة الكبرى ، دار المعرفة ، بيروت 1413هـ 1992م ، ج9 ، ص181 .
(2) سورة المعارج الآية (5) .
(3) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الجزء الثاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، بدون ص 32 .

وُسْعَهَا ﴾ وأن من يقوم بأمر الله يحتاج إلى زاد في الطريق والزاد هو الصبر والصلاة ، والصبر في بابين: الصبر لله بما أحب وإن ثقل على الأبدان والأنفس، والصبر لله عما كره وإن نازعته إليه الأهواء فالله مع الصابرين بعونه ونصرته وفى ذلك تثبيت وإعانة على الصبر وترويض النفس على ترقب العواقب البعيدة المدى دون أن تخدعنا العاجلة وإن مقام الصابرين ليرتفع إلى مرتبة الأنبياء الذين يصلى عليهم الله وملائكته ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [1].

فعلى المسلم أن يستعين بالصبر والصلاة على أمور الدنيا والآخرة فبالصبر تنال كل فضيلة وبالصلاة ينتهي عن كل رذيلة [2].

ويتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيراً– أكثر من سبعين مرة – ذلك أن الله سبحانه وتعالى يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع – وتقرن الصلاة إلى الصبر لأنها هي المعين الذي لا ينضب والزاد الذي لا ينفد ، المعين الذي يجدد الطاقة والزاد الذي يزود القلب فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع[1] وخص الصبر لأنه أشد شيء باطني على النفس وخصت الصلاة لأنها أشد عمل ظاهري على النفس[2] .

والواقع أن الأعمال الفردية أو الجماعية العظيمة ، لا تحقق ثمارها إلا بالثبات والكفاح الدائم وعدة ذلك كله الصبر. وقد بشر الله الصابرين الذين يؤمنون بالقضاء والقدر بحسن العاقبة في آخرتهم فيوفون أجرهم بغير حساب

(1) سورة البقرة الآية (157) .
(2) محمد علي الصابوني : صفوت التفاسير ، مرجع سابق ، ص94 .
(1) سيد قطب: في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ص 141 .
(2) وهبة الزحيلي : التفسير المنير ، مرجع سابق ، ص 39 .

ولهم من ربهم مغفرة ورحمة خاصة بهم يجدون أثرها في برد القلوب وسكينة النفس عند نزول المصيبة ، وهذه الرحمة يحسد عليها الكافرون المؤمنين لأن الكافر تضيق به الدنيا إذا نزلت به المصيبة وقد يقتل نفسه وما أكثر حوادث الانتحار في أوربا وأمريكا .

المضمون التربوي للآية:-

- توعية شباب الأمة بدورهم في القيادة والريادة والتأكيد على أن خير معين على أداء هذا الدور هو الاستعانة بالصبر والصلاة .

- ربط الشباب بالصلة القوية بالله تعالى من خلال الصلاة وتعويدهم اللجؤ والفزع إلى الصلاة في كل أمر يشتد بهم تأسياً بالرسول ﷺ وتطبيق ذلك بالصلاة قبل الدخول إلى كل أمر مهم(الجهاد، طلب العلم ،الدرس+المحاضرة الامتحانات المعاينات).

- تدريب الشباب على الصبر وتحمل المشاق والأعداد البدني والنفسي المتواصل لتحقيق القوة التي أمر بها الله تعالى وحث عليها الرسول ﷺ.

- البدء بالنداء عند الأمر المهم لإرهاف الأسماع وتركيز الأبصار وبالذات في مجال الدرس والوعظ والإرشاد وميدان الجهاد وذلك لتهيئة النفس لقبول الأمر الذي يأتي بعد النداء .

- المعرفة اليقينية الراسخة لعاقبة الصبر ووضوح الغاية والرؤية والهدف فهذه معززات لابد منها قبل الصبر ، وسير وقصص الأنبياء خير شاهد على ذلك .

- التأكيد على أن الصبر فضيلة وهى أم الفضائل فما من فضيلة إلا وهى محتاجة إليه ومن حسن الحظ أن فضيلة الصبر فضيلة يمكن اكتسابها بالتعود والتمرن عليها فبمقدور كل إنسان أن يكتسبه ويتعلمه لأنه ليس خلقاً فطرياً وجبلياً محضاً.

- التأكيد على أن الصبر هو سبب النجاح وتحصيل المزيد من العلم والفهم وإن مقام الصابرين يرتفع إلى مرتبة الأنبياء الذين يصلى عليهم الله وملائكته كما أننا بالصبر ننال كل فضيلة وبالصلاة نبتعد عن كل رذيلة .

- الاستعانة بالصبر على نصرة الدين وإقامة الشعائر وكذلك الاستعانة بالصلاة التي تعزز الثقة بالله وتهون الخطوب. كما علينا التزام الصبر عند المصيبة والبعد عن سلوك الجاهلية .

الآية الثالثة: الأمـــر بأكـل الطيبـــات والشكـــر عليـــها

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ التفسير:-

الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون على وجهين أحدهما الاعتراف بالنعمة وذلك بالثناء على المنعم ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾[1]

والثاني صرف النعمة فيما يرضى الله وذلك باستعمال السمع والبصر وسائر الحواس والنعم فيما خلقت له.

(1) سورة إبراهيم الآية (7) .

هنا يأمر الله جل ثناؤه عباده المؤمنين أن يتمتعوا في هذه الحياة بما أحله لهم من الكسب الحلال والرزق الطيب والمتاع النافع وأن يأكلوا من لذيذ المأكل الذي أباحه لهم ورزقهم إياهم بشرط أن يكون من الحلال الطيب وأن يشكروا الله على نعمه التي أسبغها عليهم إن كانوا حقاً صادقين في دعوة الإيمان عابدين لله منقادين لحكمه مطيعين لأمره لا يعبدون الأهواء والشهوات[2] .

ووجه الخطاب في هذه الآية للمؤمنين خاصة ، لأنهم أحق بالفهم وأجدر بالعلم وأحرى بالاهتداء ، والمراد من الطيبات الرزق الحلال ، فكل ما أحله الله فهو طيب وكل ما حرمه فهو خبيث ، وأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وفى قوله تعالى: (وشكروا) تربية للمهابة والروعة في القلوب [1] .

إن الأكل من الحلال يكون سبباً لتقبل الدعاء والعبادة ، ويروى أبو هريرة رضى الله عنه عن الرسول ﷺ قال:(أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [2].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[3] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب ...يارب... ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى

(2) محمد على الصابوني آيات الأحكام ، الجزء الأول ، دار الصابوني للنشر ، الطبعة الخامسة 1986م ، ص156 .
(1) نفس المرجع ، ص 179.
(2) سورة المؤمنون الآية (51) .
(3) سورة البقرة الآية (172) .

بالحرام فأنى يستجاب لذلك) [1].

إن الذي يأكل من الحلال ويتجنب الحرام ويشكر الله على نعمه هو الذي يعبد الله فعلاً وأن معنى العبادة الطاعة لله في ما أمر ونهى ، وعلى الدعاة والمربين أن يعلموا الناس مقاصد الآيات ويوضحوا لهم أمر الله ونهيه حتى يتمكنوا من العبادة الصحيحة لربهم ، فإن كتموا ضل الناس وضاعت عبادة الله في الأرض ولهذا حق العذاب على كاتم القرآن والعلم .

المضمون التربوي للآية:-

- تنبيه الناشئة إلى نعم الله الكثيرة في أنفسهم وفيما سخر لهم وتعميق الإحساس والشعور بوجوب أداء الشكر على هذه النعم وبيان كيفيات الشكر المتعددة من شكر وثناء على مسبغ هذه النعم ، وصرف لهذه النعم فيما يرضى الله مسبغ هذه النعم التي لا تحصى كما ورد في صريح القرآن ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾[2]

- الحرص على كسب الحلال وتعظيم ذلك في نفوس الناشئة وبيان أنه سبب لاستجابة الدعاء وقبول الدعوة عند الله تعالى والتنبيه على أن الشكر على هذه النعم هو قيد لها من الزوال .

- توضيح وجهة نظر الإسلام في أن الله أباح للمؤمنين كل الطيبات والتأكيد على أن الشكر على هذه النعم هو نوع من العبادة وهو برهان على

(1) أبو عيسى محمد بن سوري الترمذي، سنن الترمذي، الجزء5، دار الحديث القاهرة،2005م، رقم 89– 29 ، ص65 .

(2) سورة إبراهيم الآية (34) .

صدق هذه العبادة ، وفى شكر هذه النعم تربية للمهابة والروعة في القلوب .

الرابعة: الأمر بالصوم لتحقيق التقوى في قلب المسلم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ ﴾[1]

التفسير:

الصيام في اللغة:الإمساك والكف عن الشيء وهو في الشريعة الإمساك عن الطعام والشراب والجماع ما بين الفجر والمغرب ، الصيام قد فرض على أصحاب الملل السابقة فهو ركن من أركان كل دين ، لأنه من أقوى العبادات ومن أعظم وسائل التهذيب ، يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة امتثالا لأمر الله تعالى فتقوى إرادته ويصبح أقدر على ترك المحرمات والصبر عنها ، والصيام نصف الصبر ويساعد على بلوغ التقوى كما ورد في آخر الآية ويظهر ذلك من وجوه كثيرة أعظمها شأناً: أن الصيام موكول إلى الصائم لا رقيب عليه فيه إلا الله تعالى فهو يدرب على الشعور برقابة الله تعالى والحياء منه سبحانه وتعالى لذا جاء في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فأنهِ لي وأنا أجزى به)[2] .

لقد كان من الطبيعي أن يفرض الصيام على الأمة التي يفرض عليها الجهاد في سبيل الله لتقرير منهجه في الأرض وللقوامة به على البشرية وللشهادة على الناس , فالصوم هو مجال تقرير الإرادة العازمة الجازمة ، ومجال اتصال

(1) سورة البقرة الآية (183) .

(2) مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، الجزء 2 ، دار الحديث القاهرة 1991 ، حديث رقم 161 ، ص806 .

الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد كما أنه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها إيثاراً لما عند الله من الرضا والمتاع وهذه عناصر لازمة في إعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك والذي تتناثر على جوانبه الرغاب والشهوات .

إن الله سبحانه وتعالى يعلم أن التكليف أمر تحتاج النفس البشرية فيه إلى عون ودفع لتنهض به وتستجيب له مهما يكن فيه من حكمة ونفع حتى تقتنع به وتراض عليه ، ومن ثم بدأ التكليف بذلك النداء الحبيب إلى المؤمنين المذكر لهم بحقيقتهم الأصلية ثم يقرر لهم بعد ندائهم أن الصوم فريضة قديمة على المؤمنين بالله في كل دين وأن الغاية الأولى هي إعدادهم للتقوى والشفافية والحساسية والخشية من الله تعالى فالغاية الكبيرة من الصوم هي التقوى ، فالتقوى هي التي تستيقظ القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة طاعة لله وإيثاراً لرضاء والتقوى هي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ولو تلك التي تهجس فئ البال والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ووزنها في ميزانه فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم وهذا الصوم أداة من أدواتها وطريق موصل إليها ومن ثم يرفعها السياق أمام أعينهم هدفاً وضيئاً يتجهون إليه عن طريق الصيام ، والآية لا تقود الناس بالسلاسل ،إلى الطاعات وإنما تقودهم بالتقوى وغاية هذه العبادة (الصوم) خاصة هي التقوى والذي يفلت من أداء الفريضة تحت ستار الرخصة لا خير فيه منذ البدء لأن الغاية الأولى من أداء هذه الفريضة لا تتحقق وهذا الدين دين الله ، لا دين الناس والله أعلم بتكامل هذا

الدين بين مواضع الرخص ومواضع التشدد وإذا حدث أن فسد الناس في جيل من الأجيال فإن إصلاحهم لا يتأتى عن طريق التشدد في الأحكام ولكن يتأتى من طريق إصلاح تربيتهم وإذا صح التشدد في أحكام المعاملات عند فساد الناس كعلاج رادع وسد للذرائع فإن الأمر في الشعائر التعبدية يختلف إذ هي حساب بين العبد والرب لا تتعلق به مصالح العباد تعلقاً مباشراً ، قد تدفع في سبيل الخير والاستقامة لكنها في النهاية تربية والتربية بطيئة الأثر [1].

المضمون التربوي للآية:

الصوم مدرسة تربوية قائمة بذاتها إذ يحتوى على قيم ومضامين تربوية عدة منها:

- الصوم عبادة قديمة فرضت على كل الأمم الموحدة لله ، وذلك لأثره القوى فى إصلاح النفس والارتقاء بها إلى مقام التقوى ، فهنا لابد من تدريب على الصوم قبل البلوغ حتى يعتاده الناشئة ثم يتدرجون إلى صيام رمضان ثم صيام التطوع .

- تدريب الناشئة على الرقابة الذاتية واستحضار هيبة الله تعالى ورقابته على النفوس في كل لحظة وخطرة

- يفرض الصوم رقابة كاملة على أفعال الإنسان وأقواله وخطراته وأحاسيسه فهو مسئول عنها كلها والتفريط في أي منها يخرج الصوم عن مضمونه الحقيقي.

(1) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ص169 .

- التدريب على مكارم الأخلاق : كالصمت ، الجود ، المراقبة لله ، العطف الرحمة ، الصبر ، التواضع وكذلك التدريب على النظام والاقتصاد في المعيشة والتجديد في الحياة .

- توضيح العلاقة القوية بين رمضان والقرآن الكريم فشهر رمضان هو شهر القرآن ودراسة القرآن تحتاج إلى توفير وقت وجهد وهذا أنسب ما يكون في رمضان .

- تقرير الإرادة الجازمة والتحرر من كل القيود الشهوانية والاستعداد للجهاد في كل ميادين الحياة ، لأن الأمة الإسلامية أمة ذات رسالة أنتدبها الله عز شأنه للقيام بهذه الرسالة عن سائر الأمم .

- مراعاة المحفزات عند التكليفات لأن ذلك ضروري لدفع النفس الإنسانية للإنجاز ففي المجال التربوي علينا أن نبتكر الكثير من المحفزات المعنوية والمادية لتثبيت القيم الإسلامية .

- التربية أساس الإصلاح الراسخ بطيئة التأثير ولكنها مضمونة النتائج. وعلينا التمييز بين نوعى التربية في المعاملات والتربية في العبادات فلكل منها أسلوب يختلف عن الأخر فالتربية عن طريق العبادات تحتاج إلى التيسير والرفق بينما قد تنفع الشدة في مجال المعاملات .

- الأمور الشاقة إذا عممت سهل تحملها فعلينا اعتماد التكاليف الجماعية (نشاطات ، مشروعات ، أعمال..) كما علينا اختيار الأسلوب الأنجع في مجال التربية سواء عن طريق تنمية التفكير والجانب العقلاني أو الجانب النفسي

المتعلق بتقوية الإرادة الفردية عند هجوم الرغبات النفسية. كما علينا التركيز على صلاح الأفراد لأن بصلاحهم يصلح المجتمع (التربية الفردية).

المبحث الثالث

آيــات المعامــلات الاجتماعيــة ومضامينهـا التربويــة

الآية الأولى: الأمر بإقامة العدالة في المجتمع المسلم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1]

التفسير:

في الآية تحريك للمشاعر النبيلة وتذكير بروابط الإخوة وترغيب في العفو فإذا حدث العفو يلتزم كل طرف بواجبه ، فولى المقتول يجب أن يلتزم بالمعروف في مطالبته بالدية والقاتل وأهله عليهم الإحسان في الأداء والإحسان أن تعطيه حقه وزيادة إما في المال أو الكلام الطيب أو المعاملة الودية وفى ذلك تضميد لجراح القلب ورتق للعلاقات الأخوية التي مزقها العدوان[2] .

وقد كان القصاص وحده هو الحكم المفروض على بني إسرائيل بينما نزع النصارى إلى العفو في كل شيء وبالدية أحياناً، فجاء الإسلام دين الوسط الذي يمكن أن يناسب جميع المستويات وجميع الحالات مع الترغيب في العفو،

(1) سورة البقرة الآية (178) .
(2) محمد على الصابوني : آيات الأحكام ، مرجع سابق ، ص 351 .

والغضب للدم فطرة طبيعية والإسلام يلبيها بشريعة القصاص ، فالعدل الجازم هو الذي يكسر الحقد في النفوس ولكن الإسلام لا يقف عند حدود العدل وحده ، فإن العدل يغدو قسوى في بعض الحالات ويعجز في إعطاء الحل المناسب ، فقد تكون الدية في بعض الحالات أفضل لأهل القتيل من القصاص ، خاصة إذا كان القتيل هو المُعيل ، وقد يكون القاتل هو المعيل الوحيد لأسرته ففتح المجال أمام العفو والإحسان وقبول الدية فيه تخفيف من الله ورحمة خاصة أن الإسلام لا يفرض العفو فرضاً بل يحبب فيه ويدعو النفس المؤمنة إلى التسامي إليه ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [1] .

فمن الذي لا يريد أن يكون من هؤلاء الذين يحبهم الله !! فهو- الإسلام- بذلك لا يحمل النفوس ما لا تطيق ولا يتركها تقف في مرحلة معينة ، بل يأخذ بيدها إلى الأعلى .

إن العدل هو مرحلة من الارتقاء لكن نمو الحياة الإنسانية لا يتم إلا بالإحسان وينبه هنا إلى الحكمة في هذا الحكم فالأمر ليس للانتقام ولا لإرواء الحقد ، لكنه لصيانة الحياة فكم من إنسان يمنعه من القتل خوفه من القصاص [1] لأنه يعلم إذا قتل نفساً فسوف يقتل بها وبذلك يرتدع وينزجر عن القتل فيحفظ حياته وحياة من أراد قتله وبذلك تصان الدماء وتحفظ النفوس ويأمن الناس على أرواحهم .

ذلك شرع الله ودينه القويم الذي به حياة الناس وسعادتهم في الدنيا

(1) سورة آل عمران الآية (134)
(1) محمد علي الصابوني : آيات الأحكام ، مرجع سابق ، ص 352 .

والآخرة[2]

وهنا يظهر امتياز الشريعة الإسلامية حيث جمعت بسبب جريمة القتل بين تشريع القصاص الذي كان في بني إسرائيل وبين تشريع الدية الذي كان في النصارى وأصبح الخيار مقرراً بين القصاص والدية والعفو مطلقاً عن أي شيء بل إن الإسلام حض على العفو ، وذكرت الآية المؤمنين بالأخوة التي تدعوهم إلى العفو وبددت من أنفسهم عوامل الغيظ والحقد فيعطف الأخ على أخيه ويتسامى عن أحقاده فيصفح ويسمح عنه[3] .

فهنا نرى أن الإسلام يركز دائماً على الجانب الإيجابي وذلك بإصلاح الحياة على أحسن منهج وبتحقيق الثواب في الآخرة بمن عفا وأصلح وأما أذا أراد ولى الدم القصاص فعلى القاتل أن يستسلم لأمر الله والانقياد لقصاصه المشروع وهذا فرض عليه[4] .

المضمون التربوي للآية:

احتوت هذه الآية الكريمة على الكثير من المضامين والإشارات التي يجب أن يكون لها المكان البارز في حياتنا ومن ذلك:

- الترغيب في العفو والحث عليه وبيان الثواب العظيم الذي أعده الله للعافين عن الناس وبيان أدب التقاضي وأدب القضاء .

- بيان مفهوم الإحسان ودرجته في الدين وهو(الدرجة العليا) وإنه يعنى

(2) نفس المرجع ، ص 37 .
(3) وهبة الزحيلى : التفسير المنير ، مرجع سابق ، ص171 .
(4) نفس المرجع ، ص 108 .

إعطاء الحق وزيادة وإشاعة هذا المفهوم بصور مختلفة في الأوساط التربوية والاجتماعية وبيان رحمة الله لعباده فى تشريعه الوسط بين شريعة اليهود والنصارى وإدخال مفهوم العفو والحث عليه، وإشاعة روح الإخوة الإسلامية بين أفراد المجتمع الإسلامي .

- بيان حكمة التشريع العالية في هذا النداء وطرح الخيارات المتعددة (القصاص،الدية،العفو) مما يعنى ويؤكد ثراء الفقه الإسلامي ومراعاته لأحوال الناس في كل زمان ومكان والفقه أحد عناصر التربية في المجتمع المسلم .

- بيان أهمية العدل الذي يزيل الحقد من النفوس ولكنه قد يعدل عن أحد الخيارات لخيار أنسب(دية ، عفو) وبسط العدل في كافة المناحي التربوية .

- تبرز الحكمة في أن القصاص هو حياة حقيقية لأن هناك من لا يمنعه من القتل إلا الخوف على نفسه فهنا صان نفسه ونفس غيره وفى هذا حياة له ولغيره.

الآية الثانية : الأمـر بتحقيق السلم في المجتمـع المسلـم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[1]

التفسير:- إن الله جل ثناؤه أمر الذين آمنوا بالدخول في العمل بشرائع الإسلام كلها ، وقد يدخل في الذين آمنوا المصدقون بمحمد ﷺ وبما جاء به . والمصدقون بمن قبله من الأنبياء والرسل وما جاءوا به وقد دعا الله عز وجل

(1) سورة البقرة الآية (208) .

كلا الفريقين إلى العمل بشرائع الإسلام وحدوده والمحافظة على فرائضه التي فرضها ونهاهم عن تضييع شيء من ذلك، فالآية عامة لكل من شمله اسم الإيمان فلا وجه لخصوص بعضها دون بعض . وقد فسر (السلم) بالإسلام و(كافة) هنا بمعنى جميعاً ، اعملوا أيها المؤمنون بشرائع الإسلام كلها وأدخلوا في التصديق به قولاً وعملاً ودعوا طرائق الشيطان وأثاره أن تتبعوها فإنه لكم عدو مبين عداوته ، وطريق الشيطان الذي نهاهم أن يتبعوه هو ما خالف حكم الإسلام وشرائعه في كل منحى من مناحي الحياة ومنه تسبيت السبت وسائر سنن أهل الملل التي تخالف ملة الإسلام[2] .

والآية تطلب من المؤمنين من أصحاب الملل أن يدخلوا في الإسلام لأنه الدين الخاتم الذي لا يقبل غيره ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [1] ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [2]

وقال رسول الله ﷺ (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) [3].

إن أول مفاهيم هذه الدعوة الموجهة للمؤمنين أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله في ذوات أنفسهم وفى الصغير والكبير من أمرهم ، أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور ومن نية أو عمل

(2) ابن جرير الطبرى : جامع البيان ، مرجع سابق ، ص 336 .
(1) سورة آل عمران الآية (19) .
(2) سورة آل عمران الآية (85) .
(3) مسلم : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ص 240 .

ومن رغبة أو رهبة لا تخضع لله ولا ترضى بحكمه وقضاه ، استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية،الاستسلام لليد التي تقود خطاهم وهم واثقون أنها تريد بهم الخير والنصح والإرشاد وهم مطمئنون إلى الطريق والمصير في الدنيا والآخرة سواء ، وتوجيه هذه الدعوة إلى الذين آمنوا إذ ذاك يش ير بأنها كانت هناك نفوس ما تزال يثور فيها بعض التردد في الطاعة المطلقة في السر والعلن وهو أمر طبيعي أن يوجد في الجماعة إلى جانب النفوس المطمئنة الواثقة الراضية ، وهى دعوة توجه في كل حين إلى الذين آمنوا ليخلصوا ويتجردوا وتتوافق خطوات نفوسهم واتجاهات مشاعرهم مع ما يريد الله بهم وما يقودهم إليه نبيهم ﷺ ودينهم في غير ما تلجلج ولا تردد ولا تلفت ، والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلم وكله سلام عالم كله ثقة واطمئنان وكله رضا واستقرار لا حيرة ولا قلق ولا شرود ولا ضلال، سلام مع النفس والضمير ، سلام مع العقل والمنطق ، سلام مع الناس والأحياء سلام مع الوجود كله ، سلام يرفرف في حنايا السريرة وسلام يظلل الحياة والمجتمع سلام في الأرض وسلام في السماء ، وأول ما يفيض هذا السلام على القلب يفيض من صحة تصوره لربه ونصاعة هذا التصور وبساطته أنه إله واحد يتجه إليه المسلم وجهة واحدة ليستقر عليها قلبه فلا تتفرق به السبل ولا تتعدد به القبل ولا يطارده إله من هنا وإله من هناك كما كان في الوثنية والجاهلية،وإنما هو الله يتجه إليه في ثقة وطمأنينة وفى نصاعة وفى وضوح وهو إله واحد قوى قادر عزيز قاهر فإذا اتجه إليه المسلم فقد اتجه إلى القوة الحقة الوحيدة في هذا الوجود وقد أمن كل

قوة زائفة واطمأن واستراح .[1]

الكون من حول الإنسان مسبح قانت لله صديق للإنسان مأنوس تتجاوب روحه مع روحه فيتجهان كلاهما إلى ربهما ، والإنسان مدعو إلى شهود هذا المهرجان الإلهي المقام في السموات والأرض ليتأمل ويأنس به وهو مدعو للتعاطف مع كل شيء ومع كل حي في هذا الوجود الكبير الذي يعج بالأصدقاء المدعوين مثله إلى ذلك المهرجان والذين يؤلفون كلهم هذا المهرجان ، والعقيدة التي تقف صاحبها أمام النبتة الصغيرة وهى توحي إليه أن له أجراً حين يرويها من عطش وحين يعينها على النماء وحين يزيل من طريقها العقبات ، هي عقيدة جميلة فوق أنها عقيدة كريمة عقيدة تسكب في روحه السلام وتطلقه يعانق الوجود ويشع من حوله الأمن والرفق والحب والسلام .

والاعتقاد في الآخرة يؤدى دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه ونفى القلق والسخط والقنوط الذي يلف بحياة الكافرين،إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة ، إن الحساب الختامي هناك والعدالة المطلقة المضمونة في هذا الحساب ، فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاءه ولا قلق على الأجر إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس ، فسوف يوفاه بميزان الله ، ولا قنوط من العدل إذا توزعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يريد ، فالعدل لابد واقع وما الله يريد ظلماً للعباد . والاعتقاد بالآخرة حاجز دون

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ص 207 .

الصراع المجنون المحموم الذي تداس فيه القيم وتداس فيه الحرمات بلا تحرج ولا حياء ، فهناك الآخرة فيها عطاء وفيها غناء وفيها عوض عما يفوت ، وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على محبي السباق والمنافسة وأن يخلع التجمل على حركات المتسابقين وان يخفف من السعار الذي ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هي فرصة هذا العمر القصير المحدود[1] .

لما دعا الله المؤمنين أن يدخلوا في السلم كافة حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان فإنه ليس هناك إلا اتجاهان إما الدخول في السلم كافة وإما إتباع خطوات الشيطان وإما هدى وإما ضلالة ، إما إسلام وإما جاهلية وبمثل هذا الحزم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات.

الذين قالوا المقصود بالسلم الإسلام ، قالوا لأن الإسلام هو دين السلام والأمن في جميع المستويات (الفرد ، الأسرة ، المجتمع) وحتى التحية التي أمر بها الإسلام: السلام عليكم:(أي أنتم في أمن وسلام)، وذلك أمر لم تصل إليه أمة من الأمم غير الأمة المسلمة ، وحتى أشدها إدعاء للسلام ، وهذه التحية يستخدمها المسلمون بشكل عام إذ إن السلام من آداب الإسلام والأدب تستعمله مع المسلم وغير المسلم إلا في ظروف خاصة مع المعتدين الظالمين ، فلا يلقى عليهم السلام حتى لا يكون عهداً لهم بالأمان ، وخطوات الشيطان كل أمر يخالف سبيل الحق والخير والمصلحة العامة[1] .

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ص 211 .
(1) حنان لحام : من هدى سورة البقرة ، مرجع سابق ، ص 211 .

المضمون التربوي للآية:

- على المؤمنين أن يتقبلوا شرائع الإسلام ويعملون بها ويحافظوا عليها ويتأكد هذا القبول فى الأوساط التربوية ومنذ نعومة الأظافر ليشب عليها الناشئة .

-على المؤمنين جميعاً الابتعاد عن طرائق الشيطان وهى كل ما خالف حكم الإسلام وشرائعه والتأكيد التام على العداوة الأبدية بين الشيطان والإنسان في كل مراحل حياة الإنسان .

- التأكيد على أن الإسلام هو الدين الخاتم والمقبول عند الله تعالى وتنمية روح الاعتزاز والانتماء لهذا الدين الخاتم ، والعمل على نشره وبالذات في الأوساط التربوية لتحمل لواء الإسلام على هدى وبصيرة .

- على المؤمنين الاستسلام الكامل لله في ذوات أنفسهم وفى كافة أمور حياتهم استسلاماً واثقاً مطمئناً بأن الخير كله فيما أختار الله لهم من تشريع وأدب وأمر ونهى فيحرصون على تلقيه بالقبول التام والرضا الكامل .

- تنمية روح السلام مع النفس والضمير ومع العقل والمنطق ومع الأحياء ومع الوجود كله والاتجاه إلى رب واحد عنده كل شيء وعنده ملكوت كل ش يء فلا يعبد ولا يخشى ولا يرجى إلا هو ، وتعميق هذا الإحساس وهذه الروح في نفوس الناشئة منذ الصغر وبطرق ووسائل شتى حتى يشب الناشئ متوازن الشخصية خالياً من الأمراض والعقد النفسية .

- تربية الإحساس بأن كل ما في هذا الكون هو صديق للإنسان بل وفى

خدمة الإنسان فلا صراع مع الطبيعة ولا قهر إنما هي كلها أدوات وضعها الله سبحانه وتعالى في يد الإنسان لتساعده على عبادة الله وتحقيق أمره ونهيه في هذه الأرض وإبراز النماذج التي تؤكد ذلك من خلال سيرة الرسول ﷺ وسيرة السلف الصالح

- تنمية الإحساس بأن هناك يوم يجد فيه الإنسان كل ما قدم وأخر في هذه الحياة الدنيا وأنه يوم العدالة المطلقة والجزاء الأوفى ، والتذكير بالمشاهد والأحداث الجسام التي تحدث في ذلك اليوم من خلال عرض الآيات القرآنية التي صورت تلك المشاهد والأحداث .

- تنمية روح المنافسة الخيرة والتي تعنى التسابق إلى أعمال الخير والبر واحتساب الأجر عند الله تعالى وممارسة ذلك في الأوساط التربوية وبطرق ووسائل شتى .

نتائج البحث :

1/إن القرآن الكريم هو المعين الذي لا ينضب للتربية الإسلامية القرآنية الصحيحة .

2/ما أمر الله عباده المؤمنين بشيء إلا وفيه خير ومصلحة وما نهاهم عن ش يء إلا وفيه شر ومفسدة .

3/ صفات الإيمان من أحب الصفات إلى المؤمنين والنداء بها يحتم على المؤمنين السمع والطاعة .

4/تعظيم قدر الرسول ﷺ وإتباع سنته واجب على المؤمنين .

5/ دعا القرآن الكريم إلى التحلي بالقيم التربوية الإسلامية منها : الاستعانة بالصبر والصلاة والإنفاق في سبيل الله وإقامة العدل والسلام في المجتمع المسلم .

توصيات البحث :

بناءاً على النتائج التي توصل إليها الباحث فإنه يوصى بالآتي :

1/ إجراء دراسات تربوية يكون محورها القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ.

2/ استخلاص القيم والمضامين التربوية من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ وتضمينها في المناهج الدراسية .

3/ إشاعة روح البحث التربوي الإسلامي وإنزال معاني القرآن الكريم ومفاهيمه وقيمه في حياة المسلمين .